بسم الله الرحمن الرحيم

الْأَمْنُ الْفِكْرِيُّ وَأَثَرُهُ عَلَى الْمُجْتَمَعِ 5 جُمَادَى الْأُولَى 1448هـ

عِبَادَ اللهِ: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ جَلَّ وَعَلَا؛ فَمَنِ اتَّقَاهُ وَقَاهُ، وَأَسْعَدَهُ وَلَا أَشْقَاهُ.

إِنَّ الْأَمْنَ مِنْ أَهَمِّ مَطَالِبِ الْحَيَاةِ، بِهِ تَتَحَقَّقُ الْحَيَاةُ السَّعِيدَةُ، وَبِهِ يَحْصُلُ الِاطْمِئْنَانُ وَالِاسْتِقْرَارُ، وَبِهِ تَتَحَقَّقُ السَّلَامَةُ مِنَ الْفِتَنِ وَالشُّرُورِ؛ لِذَا فَهُوَ نِعْمَةٌ كُبْرَى وَمِنَّةٌ عَظِيمَةٌ، لَا يَعْرِفُ كَبِيرَ مِقْدَارِهَا وَعَظِيمَ أَهَمِّيَّتِهَا إِلَّا مَنِ اكْتَوَى بِنَارِ فَقْدِ الْأَمْنِ، فَوَقَعَ فِي الْخَوْفِ وَالْقَلَقِ وَالذُّعْرِ وَالِاضْطِرَابِ لَيْلًا وَنَهَارًا، سَفَرًا وَحَضَرًا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْأَمْنَ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ، امْتَنَّ اللهُ بِهَا عَلَى أَقْوَامٍ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ مِحْصَنٍ الْخَطْمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا».

عِبَادَ اللهِ: إِذَا اخْتَلَّ نِظَامُ الْأَمْنِ، وَتَزَعْزَعَتْ أَرْكَانُهُ وَقَعَ الْمُجْتَمَعُ فِي الْفِتَنِ الْعَرِيضَةِ، وَالشُّرُورِ الْمُسْتَطِيرَةِ، وَكَثُرَتْ حِينَئِذٍ الْجَرَائِمُ الشَّنْعَاءُ، وَالْأَعْمَالُ النَّكْرَاءُ؛ لِذَا حَرَّمَ الْإِسْلَامُ كُلَّ فِعْلٍ يَعْبَثُ بِالْأَمْنِ وَالِاطْمِئْنَانِ وَالِاسْتِقْرَارِ، وَحَذَّرَ مِنْ أَيِّ عَمَلٍ يَبُثُّ الْخَوْفَ وَالرُّعْبَ وَالِاضْطِرَابِ، أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ، فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا».

لَقَدْ بَلَغَتْ عِنَايَةُ الْإِسْلَامِ بِالْحِفَاظِ عَلَى الْأَمْنِ بِأَنْ حَرَّمَ كُلَّ مَا يُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ وَمَوَاضِعِ حَاجَاتِهِمْ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْجِدِنَا، أَوْ فِي سُوقِنَا، وَمَعَهُ نَبْلٌ، فَلْيُمْسِكْ عَلَى نِصَالِهَا، -أَوْ قَالَ: فَلْيَقْبِضْ

بِكَفِّهِ-، أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا شَيْءٌ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مِنْ أَسْبَابِ تَوَفُّرِ الْأَمْنِ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِوَلِيِّ الْأَمْرِ فِي الْمَعْرُوفِ، وَفِيمَا لَا مَعْصِيَةَ فِيهِ لِلَّهِ تَعَالَى، فَذَلِكُمْ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَبِهَذَا الْأَصْلِ تَنْتَظِمُ مَصَالِحُ الدَّارَيْنِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

وَقَدْ عُلِمَ بِالضَّرُورَةِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ لَا دِينَ إِلَّا بِجَمَاعَةٍ، وَلَا جَمَاعَةَ إِلَّا بِإِمَامَةٍ، وَلَا إِمَامَةَ إِلَّا بِسَمْعٍ وَطَاعَةٍ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْحَاكِمِ احْتِرَامٌ وَتَقْدِير، وَسَمْعٌ وَطَاعَةٌ، فَمَا الْهَدَفُ إِذَنْ مِنْ تَوْلِيَتِهِ؟

ذَكَرَ ابْنُ رَجَبٍ فِي «جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ»، عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ عَنِ الْأُمَرَاءِ: هُمْ يَلُونَ مِنْ أُمُورِنَا خَمْسًا: الْجُمُعَةَ، وَالْجَمَاعَةَ، وَالْعِيدَ، وَالثُّغُورَ، وَالْحُدُودَ، وَاللهِ لَا يَسْتَقِيمُ الدِّينُ إِلَّا بِهِمْ، وَإِنْ جَارُوا وَظَلَمُوا، وَاللهِ لَمَا يُصْلِحُ اللهُ بِهِمْ أَكْثَرُ مِمَّا يُفْسِدُونَ، مَعَ أَنَّ طَاعَتَهُمْ وَاللهِ لَغِبْطَةٌ، وَإِنَّ فُرْقَتَهُمْ لَكُفْرٌ. اهـ

لَقَدْ كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ يُولُونَ هَذَا الْأَمْرَ اهْتِمَامًا خَاصًّا، لَا سِيَّمَا عِنْدَ ظُهُورِ بَوَادِرِ الْفِتْنَةِ، نَظَرًا لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى الْجَهْلِ بِهِ، أَوْ إِغْفَالِهِ مِنَ الْفَسَادِ الْعَرِيضِ فِي الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ، وَالْعُدُولِ عَنْ سَبِيلِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ.

لَقَدْ سَجَّلَتْ صَفَحَاتُ التَّارِيخِ لِسَلَفِنَا الصَّالِحِ صُوَرًا كَثِيرَةً مُشْرِقَةً، نُقِلَتْ إِلَيْنَا عَنْهُمْ، مِنْ أَبْلَغِهَا وَأَجَلِّهَا مَا قَامَ بِهِ الإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ، حَيْثُ كَانَ مِثَالًا لِلسُّنَّةِ فِي مُعَامَلَةِ الْوُلَاةِ.

فَفِي عَصْرِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَبَنَّى الْوُلَاةُ أَحَدَ الْمَذَاهِبِ الْبَاطِلَةِ، وَحَمَلُوا النَّاسَ عَلَيْهِ بِالْقُوَّةِ وَالسَّيْفِ، وَأُرِيقَتْ دِمَاءُ جَمٍّ غَفِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِسَبَبِ ذَلِكَ ، وَفُرِضَ الْقَوْلُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى الْأُمَّةِ، وَقُرِّرَ ذَلِكَ فِي كَتَاتِيبِ الصِّبْيَانِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الطَّامَّاتِ وَالْعَظَائِمِ، وَمَعَ

ذَلِكَ كُلِّهِ فَالْإِمَامُ أَحْمَدُ لَا يَنْزِعُهُ هَوًى، وَلَا تَسْتَجِيشُهُ الْعَوَاطِفُ، بَلْ ثَبَتَ عَلَى السُّنَّةِ؛ لِأَنَّهَا خَيْرٌ وَأَهْدَى، فَأَمَرَ بِطَاعَةِ وَلِيِّ الْأَمْرِ، وَجَمَعَ الْعَامَّةَ عَلَيْهِ، وَوَقَفَ كَالْجَبَلِ الشَّامِخِ فِي وَجْهِ مَنْ أَرَادَ مُخَالَفَةَ الْمَنْهَجِ النَّبَوِيِّ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مِنْ أَهَمِّ مُقَوِّمَاتِ الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ: لُزُومَ الْجَمَاعَةِ، وَالنَّهْيَ عَنْ شَقِّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَخْبَرَ عَنْ زَمَنِ الْفِتَنِ، وَكَثْرَةِ دُعَاةِ جَهَنَّمَ، سَأَلَهُ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَمَّا يَفْعَلُ إِنْ أَدْرَكَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ ﷺ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ».

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا»، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ «أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ»، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِمَا.

حَمَى اللهُ تَعَالَى بِلَادَنَا وَبِلَادَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَمَكْرُوهٍ، وَأَدَامَ عَلَيْنَا وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ الْأَمْنَ وَالِاسْتِقْرَارَ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

أَيُّهَا الشَّبَابُ: إِنَّ الْأَعْدَاءَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ وَبِبِلَادِكُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَكْرِ الْمُتَعَدِّدَةِ؛ مِنْ نَشْرِ حَرْبِ الْمُخَدِّرَاتِ الْمُهْلِكَةِ، وَمِنْ غَزْوِ الْأَفْكَارِ وَالْعُقُولِ، وَبَثِّ الْفِتَنِ وَأَسْبَابِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ.

فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ شَبَابَنَا الْكِرَامَ، كُونُوا دِرْعًا مَتِينًا فِي الدِّفَاعِ عَنْ بِلَادِكُمُ الَّتِي نَشَأْتُمْ عَلَى أَرْضِهَا، وَنَعِمْتُمْ بِخَيْرِهَا، فَاحْذَرُوا مِنَ الدَّعَوَاتِ الَّتِي تُهَدِّدُ الْأَمْنَ، وَتُزَعْزِعُ الِاسْتِقْرَارَ؛ فَإِنَّ الْوَاقِعَ الَّذِي عَاشَتْهُ وَتَعِيشُهُ بُلْدَانٌ مِمَّنْ حَوْلَنَا يُذَكِّرُنَا بِأَنَّ انْفِلَاتَ الْأَمْنِ أَعْظَمُ الشُّرُورِ، وَأَنَّ

الْمِحَنَ وَالْكُرُوبَ نَتَائِجُ الْإِخْلَالِ بِالْأَمْنِ، فَيَعُودُ الْعَمَارُ خَرَابًا، وَالْأَمْنُ سَرَابًا.

عِبَادَ اللهِ: الْأَمْنُ نِعْمَةٌ عُظْمَى، وَفُقْدَانُهُ إِنَّمَا سَبَبُهُ الْإِعْرَاضُ عَنْ طَاعَةِ اللهِ ﷻ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَفُشُوُّ الْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ وَالْمُوبِقَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ بِالْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ تُعْمَرُ الْأَرْضُ، وَيُقَامُ فِيهَا دِينُ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ الْفِتْنَةَ الَّتِي تُسَبِّبُ الْخَوْفَ وَالِاضْطِرَابَ، وَتَسْلُبُ الْأَمْنَ وَالِاسْتِقْرَارَ؛ تَحُولُ بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ الْعِبَادَةِ، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَتَاهُ رَجُلَانِ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَقَالَا: إِنَّ النَّاسَ صَنَعُوا وَأَنْتَ ابْنُ عُمَرَ، وَصَاحِبُ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَخْرُجَ؟ فَقَالَ: يَمْنَعُنِي أَنَّ اللهَ حَرَّمَ دَمَ أَخِي، فَقَالَا: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، فَقَالَ: قَاتَلْنَا حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ، وَكَانَ الدِّينُ لِلَّهِ، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَيَكُونَ الدِّينُ لِغَيْرِ اللَّهِ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ قُوَّةَ الدَّوْلَةِ قُوَّةٌ لِشَعْبِهَا، وَاسْتِقْرَارٌ لِحَيَاتِهِمْ، وَضَعْفُ الدَّوْلَةِ وَعَدَمُ أَمْنِهَا ضَيَاعٌ لِلنَّاسِ، وَالشَّوَاهِدُ عَنَّا لَيْسَتْ بِبَعِيدٍ، فَبِالْأَمْنِ تُقَامُ الشَّعَائِرُ، وَتُعْمَرُ الْمَسَاجِدُ، وَيَأْمَنُ السَّبِيلُ؛ وَكُتُبُ التَّارِيخِ مَمْلُوءَةٌ بِأَخْبَارِ تَعَطُّلِ الْمَسَاجِدِ بِسَبَبِ الْفِتَنِ، الَّتِي أُشْعِلَتْ بَيْنَ طَوَائِفَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَلَمَّا دَخَلَ التَّتَرُ بَغْدَادَ فَأَثَارُوا فِيهَا الرُّعْبَ وَالْهَلَعَ، وَأَعْمَلُوا السُّيُوفَ فِي أَهْلِهَا تَعَطَّلَتِ الْجُمَعُ وَالْجَمَاعَاتُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا.

وَكَانَ مِنْ مَكْرِ الْأَعْدَاءِ لِبِلَادِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُمْ أَشْعَلُوا الْخِلَافَاتِ لِإِثَارَةِ الْفِتَنِ، وَنَشْرِ الِاضْطِرَابَاتِ، وَمُصَادَرَةِ الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مَا أَقْبَحَ هَذِهِ الْفِعْلَةَ النَّكْرَاءَ لِلرَّوَافِضِ الْحُوثِيِّينَ، فِي ضَرْبِهِمْ مُقَدَّسَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَتْلِهِمُ الْمُعْتَمِرِينَ، وَهُمُ الْقَاصِدِينَ بَيْتَ اللهِ الْحَرَامَ، مُحْرِمِينَ لِأَدَاءِ الْمَنَاسِكِ، مَا أَجْرَأَ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمِينَ عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَعَلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَعَلَى الْمُقَدَّسَاتِ!!